# خُطُورَةُ الفِتَنِ وَالمَخْرَجُ مِنْهَا

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي

**أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلاميّة**

## بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

اللّهم إنّا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، اللهم إنا نسأل فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لنا وترحمنا، وإذا أردت فتنة قوم فتوَفَّنا غير مفتونين، نسألك حُبَّك وحُبَّ من يُحبُّك وحبَّ عملٍ يقربنا إلى حبِّك.

**أما بعدُ:**

فإنّ لموضوع الفتن شأنًا وأيَّ شأن، لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة حيث أوان كثرتها، قال معاوية ﷺ سمعت النبي ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ»، أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح.

وكان أول الفتن في هذه الأمة ما حدث بعد مقتل عمر ﷺ، وكان هو ﷺ الباب المغلق الذي بين الناس وبين الفتن، وكان قتله ﷺ كسرًا لهذا الباب، فلذا لم يغلق ذلك الباب بعده أبدًا. ثم مقتل عثمان ﷺ وما ترتّب عليه من إراقة للدماء وتفرق للقلوب، ثم أطلّت الفتن في الدين بقرونها، فظهرت البدع المضلة والفرق المارقة، ولم يزل الأمر في ازدياد والفتن تموج في هذه الأمة موج البحر إلى يوم الناس هذا. نعوذ بالله من مضلات الفتن.

وإنّ من سنة الله ﷻ في عباده امتحانهم بالفتن ليميز الخبيث من الطيب، قال سبحانه: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1-3].

ولكنّ الله ﷻ برحمته يلطف بعباده المؤمنين فيها ويصبرهم عليها ويثيبهم فيها، ولا يلقيهم في فتن مضلة مهلكة تذهب بدينهم، بل تمر عليهم الفتن وهم منها في عافية.

إنّ كثرة الفتن وظهورها من علامات النبوة التي أخبر بها النبي ﷺ والتي نراها رأي العين. قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ» أخرجه البخاري في صحيحه. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﷺ: «وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ»: إشارة نبوية إلى تغلغل الفتن في الأوساط الإسلامية.

فتن آخر الزمان -يا إخوتاه- شديدة عصيبة قال ﷺ: «وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. ومعنى: «فَيُرَقِّقُ» أي: يصير بعضها رقيقًا، أي: خفيفًا لعظم ما بعده.

إنّها فتن مظلمة مدلهمة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» أخرجه مسلم.

أصل الفتنة -يا إخوتاه- هي الابتلاء والامتحان والاختبار، يقال: فتنت الذهب إذا اختبرته بالنار لأنظر جودته. وقد غلب في العرف استعمالها في الوقوع فيما يسوء، والناظر في كتاب الله ﷻ يجد أن هذه الكلمة وردت فيه كثيرًا، وردت في أكثر من خمسين موضعًا، وجاءت بمعاني مختلفة، أنهاها ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى خمسة عشر نوعًا من المعاني منها: الشرك، والعذاب، والإثم، والقتل، والضلالة، وغيرها، ويُعرف المراد حيث وردت الفتنة بالسياق والقرائن.

غير أنّ إطلاق الفتنة على الاختبار هو الذي جاء أكثر في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}** [الأنبياء: 35]، قال سبحانه: **{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}** [الجن: 16-17].

وقال سبحانه عن موسى عليه السلام: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} [طه: 40]، أي: ابتليناك وامتحنَّاك امتحانًا.

إنّ الفتن الواقعة بين الناس ألوان وأشكال كثيرة، فمنها فتن ظاهرة وأخرى باطنة. ثمة فتن عامة وفتن خاصة. هناك فتن شهوات وهناك فتن شبهات. منها فتن تتعلق بالسراء وفتن تتعلق بالضراء. من الفتن كبار ومن الفتن صغار. عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو يُعدُّ الفتن: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ» أخرجه مسلم في صحيحه. حتّى إنّ بعض الناس لبعضهم فتنة، قال جَلَّ وَعلا: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 20]. الرجل فتنة للمرأة والمرأة فتنة للرجل، الغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، الفاجر فتنة للبر والبر فتنة للفاجر، العالم فتنة للجاهل والجاهل فتنة للعالم، الكافر فتنة للمؤمن والمؤمن فتنة للكافر، ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53]. بل قد يكون أقرب شيء إليك فتنة لك، قال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28]. بل كل ما يعرض للمرء في حياته من خير أو شر هو فتنة له، وقد قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 49]. فجعل سبحانه ما يصيب الإنسان من شر أو خير فتنة، أي أنه محنة يمتحن بها، فإن أصيب بخير امتحن به شُكْرَه، وإن أصيب بشرٍّ امتحن به صَبْرَه. وقد قال صالح عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47]، أي: بالسرّاء والضرّاء والخير والشر لينظر هل تقلعون وتتوبون أم لا.

وحتى نخرج -يا إخوتاه- بخلاصة نافعة من هذا الموضوع الذي نحتاج إلى الفقه فيه ومعرفة حدوده وخطره والمخرج منه، فإنه يقال: عن الفتنة تنقسم إلى قسمين في أوضح التقاسيم.

❑ **تنقسم الفتنة إلى فتنة خاصة، وإلى فتنة عامة:**

- **الفتنة الخاصة:** هي التي تختص بالمرء في نفسه.
- **أما الفتن العامة:** فهي التي تعم الناس.

۞ **الفتن الخاصة:** هي فتنة المباحات المشغلة، والشهوات المحرمة، والشبهات المضلة:

✍ **أما المباحات المشغلة:** فابتلاء الرجل في خاصة نفسه بأهله وماله وولده وجاره وما إلى ذلك، قال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28]، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]. فإن ذلك غالبًا يلهي عن طلب الآخرة والاستعداد لها ويشغل عن ذلك، وقد ذم الله عَزَّ وَجلَّ من ألهاه ماله وولده عن ذكره، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9]. غير أنه إذا لم تشغل العبد هذه النعم عن طاعة الله فلا حرج فيها ولا ضرر، وقد أخرج أحمد وأصحاب السنن من حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾».

إنّما البلية أن يبتلى الإنسان بماله وولده وأهله ويُفتتن بذلك فتنة تشغله عمّا خلق له، فتارة يلهيه الاشتغال به عمّا ينفعه في آخرته، وتارة تحمله محبته على أن يفعل لأجله بعض ما لا يحبه الله، وتارة يُقصِّر في حقه الواجب عليه، وتارة يظلمه ويأتي إليه ما يكرهه الله ﷻ من قول أو عمل. وهذا كله ولا شك فتنة توقع صاحبها في الحرج.

هذا وقد أمر النبي ﷺ أصحابه كما في الصحيحين بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات، وهذه كلمة جامعة لمعاني كثيرة، ففتنة المحيا يدخل فيها الفتن المتعلقة بالدين والدنيا كلها، وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر. قال العلماء

رَحِمَهُم اللهُ: فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها والعياذ بالله سوء الخاتمة عند الموت.

**ومن أعظم فتن المحيا:** فتنة المال وفتنة النساء، ومنهما ما هو في أصله حلال، ومنهما ما هو في أصله حرام. في الترمذي بسند صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ». وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». قال الحكماء رَحِمَهُم اللهُ: أسباب الفتنة ثلاثة: عين ناظرة، وصورة ناضرة، وشهوة قادرة.

ومهما يكن من شيء فإن من ابتلي بشيء من الفتن المشغلة ثم صلى أو صام أو تصدق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر كان ذلك كفارة له، ومن كانت تسوؤه سيئته ويعمل لأجلها عملًا صالحًا كان ذلك دليلًا على إيمانه. عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ يَحْفَظُ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ» متّفق عليه.

**أمّا فتن الشهوات المحرّمة والشبهات المضلة:** فإنّ على من قارفها وأصرَّ عليها التّوبة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنّ شأنها عظيم وإبعادها عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ كبير، إنّها فتن الغَيِّ والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل.

الأولى: توجب فساد القصد والإرادة، والثاني: توجب فساد العلم والاعتقاد، وهي أشد فداحة وأشنع أثرًا.

وهذه الفتنة -يا أيها الأحبّة- يَؤُزُّ إليها الشيطان الوسواس الخنّاس الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، قال سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: 27].

وإذا عرضت هذه الفتن على القلوب سببت مرضها أو زادتها مرضًا واعتلَّت اعتلالًا عظيمًا، ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ

﴿الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 53]، وهذا والله شيء مَخُوفٌ جدًّا. قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم. وفي الصحيحين قال ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

**ومن أعظم أسباب السلامة -يا إخوتاه-:** البعد عن أسباب العطب.

قال العلماء: أجود الأشياء قطع أسباب الفتن، فإنّ من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة. قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقلَّ أنْ يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. هذه الفتن الخاصة.

۞ **أمّا الفتنُ العامّةُ**: فإنّها تلك التي تموج موج البحر، إنّها الفتن المضلة التي يُخشى منها فساد الدين والدنيا، وهي التي تقسم الناس إلى طيب وخبيث، ومن صبر عليها كانت رحمة في حقه ونجا من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]، نعوذ بالله من الخسران المبين.

إنّ الفتنة بهذا المعنى لفظ يجمع معنى اختلال الأحوال المفضي إلى ما فيه مضرة واضطراب النظام المعتاد والوقوع في الحيرة وفقد الاتزان. إنها اسم جامع لما يعظم من الأذى الداخل على الافراد أو الخطوب التي تكتوي بها المجتمعات ويصحبها غالبًا أجواء مشحونة بالتوتر والآراء المتضاربة. وقد تتفاقم حتى تكون فتنة عمياء صمّاء تنزل بساحة المسلمين يعظم فيها الشر ويشتد الخوف على الأنفس والأعراض والأموال، ولا يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله.

**وأعظم أسباب هذه الفتنة:** ضعف الاستجابة لله ولرسوله ﷺ، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: 24-25].

إنّ المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة لله وللرسول ﷺ دبّ بينهم الاختلاف واضطربت أحوالهم واختلّ نظام جماعتهم وعمّتهم الفتنة التي هي إن وقعت عجز العقلاء عن إطفائها وعن كفّ السفهاء عنها، والغالبُ أنه ينفخ كيرها منافقون متربصون، ينفثون سمومهم بأصوات عالية أو خافتة، **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** [التوبة: 47]. ومن في قلبه زيغ فإنه يلهث وراء الفتنة، **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾** [آل عمران: 7]. أمّا السعيد الموفَّق فإنّه من سلَّمه الله منها وحماه ووقاه، قال ﷺ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا» أخرجه أبو داود في سننه.

ولأجل هذا يا إخوة كثُرَ في النُّصوص الحث على اعتزال الفتن، وما ذاك إلا لعظيم ضررها وكبير خطرها. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ» أخرجه البخاري. وفي المسند من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خيرٌ للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تشرَّف لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ» متّفق عليه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمُ

النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ» أخرجه أبو داود.

❑ **أمّا المخرج من هذه الفتنة** فإنه الاعتصام بحبل الله ولزوم السنة، فذاك أهمّ العواصم من القواصم، وهو أرشد السَّنن في الفتن. ويتفرّع عن هذا أمور:

۞ **أوّلًا:** الاستعاذة بالله منها، وسؤاله جل في علاه العافية من البلاء، فإنّه لا يُنجي من الفتنة إلا هو سبحانه، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: 41]. قال سبحانه عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 155]. وقد جاء في اختصام الملأ الأعلى الذي خرّجه الترمذي وغيره بإسناد صحيح، عن النبي ﷺ أنّه قال في دعائه المذكور في هذا الحديث: «وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ». والمقصود بهذا الدعاء: سلامة العبد من الفتن في الدينا مدة حياته، فإن قدر الله على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها، وهذا من أم الأدعية، فإن المؤمن إذا عاش سليمًا من الفتن ثم قبضه الله قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان في ذلك نجاة له من الشر كله. وقد أمر النبي ﷺ كما قد سمعت قبل قليل، والحديث عند مسلم: (أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن). وكان يخصُّ بعض الفتن العظيمة بالذكر، فكان يتعوذ في صلاته وخارجها من أربع ويأمر بالتعوذ منها ويعلِّمُ ذلك أصحابه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «قُولُوا: اللَّهُمَّ، إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

۞ **ثانيًا:** الحذر من أهل الفتن ودعاتها، أفرادًا وفرقًا وأحزابًا وجماعات والنأي عنهم وحفظ النفس عن الركون إليهم أو إرخاء السمع لهم.

الفتن -يا إخوة- كما مرّ من تشرف لها فإنها تستشرفه، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49]. الدين ليس لمن غلب، والسلامة لا يعدلها شيء، فالزم السنة وأهلها، وحاذر الفتنة وأهلها.

۞ **الأمر الثالث**: الاجتهاد في عبادة الله سبحانه، والتشمير في نوافل الطاعات، في صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنّه قال: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**». وخرّجه الإمام أحمد ولفظه: «**العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ**». **وسببُ ذلك:** أنّ الناس في زمن الفتنة يتّبِعُون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم أشبه بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به، متبعًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه.

۞ **الأمر الرابع:** لزوم جماعة المسلمين والحذر من الخروج عنها أو شق عصا الطاعة. وهذا معنى وصية رسول الله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا آنف الذكر، لما ذكر النبي ﷺ الفتن التي يرقّقُ بعضها بعضًا. وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه لما ذكر له الفتن قال حذيفة: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**» والحديث في الصحيحين. ومن رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر ولينصحه طاقته وليُدعُ له بالهداية، قال ﷺ فيما خرّجه الشيخان: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». وفي السنة لابن أبي عاصم بإسناد صحيح عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: لا نسألك عن طاعة من اتقى، ولكن من فعل وفعل، وذكر الشر، فقال ﷺ: «**اتقوا الله، واسمعوا وأطيعوا**». وقد أخرج الطبراني في معجمه الكبير وكذلك ابن عبد البر في كتابه التمهيد، عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه خطب يومًا

فقال: "يا أيها الناس اتقوا الله، وعليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإنّ ما تكرهون في الطاعة والجماعة خير مما تحبون في الفُرقة".

۞ **الأمر الخامس:** التحلّي بالحكمة. إن رعاية الحكمة وفقه المصالح والمفاسد إبّان زمن الفتن واجب متأكد، بحيث يعرف المسلم متى يتكلم ومتى يسكت، ومتى يُقْدم ومتى يُحجم، ومتى يُصرِّح ومتى يُعرِّض. ولكم فُجع المسلمون بنكبات هنا وهناك بسبب حماسة غير منضبطة أو اجتهاد في غير محله! وما أحسن الجمع بين شجاعة القلب وشجاعة العقل وما أقلّ من جمعهما!

إنّ القواعد الشرعية الحاكمة لهذا الباب في كلام أهل العلم معلومة، فينبغي مراعاتها والأخذ بها:

- **ومنها:** أنّ درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، ولزوم دفع أعلى المفسدتين بالتزام أدناهما.
- **ومنها:** مراعاة أصل المآلات، وأنّ ما يُفضي إلى الضرر في ثان الحال فإنه يجب المنع منه في ابتدائه.

**ومن رعاية الحكمة:** إدراك أنه ليس كل ما يُعلم يقال، ولكل مقام مقال. أخرج الإمام مسلم عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً". وعليه فعلى المسلم في أزمان الفتنة أن يزِن قوله وفعله بميزان من ذهب.

**ومن النماذج التي ينبغي أن تحتذي هاهنا:** ما أخرج البخاري في صحيحه أن ابن عمر ﷺ سمع خطيبًا يخطب، وكان قد سمع منه كلمة فحلّ حبوته وهمّ أن يرد عليه، ولكنه لم يفعل، كان هذا الخطيب أميرًا على المسلمين، لم يفعل، وقال: "فخشيتُ أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويُحمل عنّي غير ذلك".

الخلاصة -يا إخوتاه-: المتقرر عند أهل العلم أن الاعتقاد يبنى على العلم، وأن القول والفعل يبنيان على المصلحة.

❁ **الأمر السادس:** لزوم الحلم والرفق والأناة. الحلم ضد الغضب، والرفق هو اللين واللطف في موضعه وهو خلاف العنف والشدة، أما الأناة فإنها ترك الطيش والاستعجال. وهذه المعاني الثلاثة تتأكد رعايتها أوقات الأزمات والفتن، فإن أكثر من يزلُّ فيها أهل الطيش والعجلة المسببة غالبًا عن العواطف العواصف.

الفتن -يا إخوتاه- كما قيل إذا أقبلت تشبّهت وإذا أدبرت تبيّنت، ولذا فما أحسن الأناة والرفق فيها! قال ابن مسعود ﵁ كما عند ابن أبي شيبة في المصنف: "إنها ستكون هناة وأمور مشبهات، فعليك بالتؤدة، فتكون تابعًا في الخير خير من أن تكون رأسًا في الشر". الرفق والأناة وأشبههما من الأخلاق محبوبة لله سبحانه، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» متفق عليه. وقال عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم كما عند مسلم لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ». الرفق سبب حصول الخير وبلوغ المرام.

لو سار ألف مدجج في حاجة ... لم يقضها إلا الذي يترفق

وأحسن من هذا قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ» أخرجه مسلم. وقال ﷺ كما عند مسلم أيضًا: «مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ».

❁ **الأمر السابع:** الرجوع إلى العلماء الراسخين والصدر عنهم. وهذا ما حثنا عليه ربنا سبحانه، حيث قال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: 83]. إنّ الرجوع إلى العلماء الكبار، الكبار في علمهم وسنِّهم وخبرتهم فيه الخير الكثير. قال ﷺ كما عند ابن حبّان والحاكم: «الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ». وإذا كان هذا مطلوبًا في الأحوال الاعتيادية فإنه يتأكد الحث عليه في أيام الفتن والنوازل المدلهمات. ذلك -يا أيها الإخوة- أنّ الفتن خداعة، تظهر على غير حقيقتها، ولذا فما أكثر من يغترُّ بها من الأغمار. قال حذيفة ﵁: "ما الخمر صِرفًا بأذهبَ لعقول الرجال من الفتن". أما العلماء الراسخون فإنّهم لا يغترون بزخارف الفتن وبهارجها، إنّما

ينظرون إليها ببصيرة المؤمن فتنكشف لهم بتوفيق الله. الفتن إذا أقبلت عرفها العلماء وانغمس فيها الدهماء، وإذا أدبرت عرفها الدهماء. قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذه الفتن إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل.

إذن المتعيّن -يا أيها الكرام- لزوم غرز أهل العلم والصدر عن آرائهم والحذر والتحذير من دعاة الفتن النافخين في كيرها المؤجِّجين أوارها الخائضين فيها بالجهل والهوى. لا سيما يا إخوة وهم يطلون على الناس من نوافذ الفضاء ويصطادونهم عبر شِراك الشبكة، والله المستعان.

۞ **الأمر الثامن:** الاشتغال بما ينفع. لكلٍّ منا ما يُحسنه وما هو مكلَّفٌ به، فليشتغل به عن غيره، والله سبحانه قد قسّم الأعمال كما قسّم الأرزاق، فما أحسن أن يعرف المرء قدراته وإمكاناته فيشتغل بما يُحسنه ويحرص على ما هو مكلَّفٌ به، ولا يخوض فيما لا يُحسنه، ويترك ما لا يعنيه ولا يليق به، ويفرح بالسلامة فإنه لا يعدلها شيء. فما للولاة للولاة، وما للعلماء للعلماء، وما لرجال الحِسبة فلرجال الحِسبة، وما لرجال الأمن فلرجال الأمن.

فللحروب أُناس قائمون بها ... وللدّواوين كتابٌ وحُسَّابُ

قال جَلَّ وَعلا: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾.

يا باري القوس بريًا لست تُحسنه ... لا تفسدنها وأعط القوس باريها

كم من الناس من أقحم نفسه في غير شأنه فجرَّ على نفسه ومجتمعه وأمته شرًا عظيمًا. قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه أحكام القرآن: "لو أمسك الناس عما لا ينبغي، بل عما لا يعني لكثر الصواب وظهر الحق".

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلام الله: "وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يُولَّى من هو أهلٌ لذلك، ويُجعل إلى أهله ولا يُتقدَّم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ". اهـ

❁ **الوصية التاسعة:** الحذر من الشائعات.

إن الشائعات المغرضة سلاح فتاك ومعول هدم يقوض الاجتماع ويفسد العلاقات ويزرع سوء الظن، وفي أيام الفتن المدلهمة يكون للشائعات سوق رائجة وبضاعة نافقة تُشغل بها المجالس وتُقطع بها الأوقات، تلقفًا وإشاعة وبثًا، والشبكة اليوم مع الأسف الشديد مصدر كبير لنشر الشائعات.

والواجب على المسلمين أن يربؤوا بأنفسهم عنها وأن يحذروا الناس من سماعها وترويجها، فالركون إليها مفاسده عظيمة خاصة وعامة، والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». وفي الحديث عند أبي داود قال ﷺ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا». إن القاعدة الأصيلة في الشريعة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: 6].

❁ **الوصيّة العاشرة والأخيرة:** الحذر من التقحّم والخوض في أشراط الساعة بلا علم. أشراط الساعة والفتن والملاحم التي تكون في آخر الزمان لها قسط وافر من هذه التخرّصات التي تتعالى أصواتها في زمن الفتن فما أنْ تحُلَّ محنة أو تنشأ فتنة إلا ويطل على المسلمين نابتة من أهل الجهل والهوى يسعون حثيثًا في تنزيل النصوص الواردة في أشراط الساعة والفتن والملاحم عليها دون فقه فيها أو عناية بتمييز صحيح الأخبار من سقيمها ودون ورع عن تكلّف تأويلها أو تطويعها لتوافق ما تخيلوه، فيخرجون بأنواع من الأباطيل والأراجيف. ومع الأسف الشديد فإن هؤلاء يجدون لآرائهم الممجُوجة أسماعًا مفتوحة وقلوبًا مستعدة لتلقف ما يرد عليها ممّن ليس عنده علم ولا بصيرة.

أما الصالحون الموفَّقُون فإنهم حريصون على ما ينفعهم ويتركون ما سوى ذلك، عملًا لقول النبي ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» أخرجه مسلم.

إنّ اشتغال كثير من الناس بتتبع تلك التخرّصات وولعهم بمعرفة أوقات الملاحم والفتن وما إلى ذلك هو في الحقيقة تضييع للعمر فيما لا طائلَ تحته، ولو كان في معرفة ذلك خير لنا في حياتنا ومعادنا لما كُتِمَ علينا علمه.

ولقد أرشد النبي ﷺ من سأله عن وقت الساعة إلى ما ينفعه، فقال: «مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا» كما في الحديث الصحيح.

فهذا هو المهم، السعي في إعداد العدة للقاء الله وليس الاشتغال بالقيل والقال.

وينبغي أن يُعلم -يا إخوتاه- أنّ أشراط الساعة قبل وقوعها هي من أمور الغيب، فلا يجوز الرتوع فيها بالأوهام والظنون الكاذبة؛ لأن الغيب أمره إلى الله سبحانه، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [هود: 123]. **وليس من طريقة أهل العلم** تنزيل نصوص علامات الساعة على الحوادث والوقائع لأدنى مشابهة أو مقاربة، وإنما الجزم بتطبيق العلامة على الحادثة المعيّنة يكون بعد وقوعها والتحقق من صحة ذلك.

أما الخرّاصون فإنهم يتعجلون في أمر كان لهم فيه أناة، فما أن تلوح بالأفق بارقة حادثة أو فتنة مقبلة إلا ويسارعون بربطها بعلامة معينة وأنها مصداق الحديث الفلاني وأنها مصداق الأثر الفلاني وما إلى ذلك. وهذا كله من القول بلا علم ومن الظن العاري عن الدليل ومن الخوض فيما لم يُكَلَّفُوه. قال جَلَّ وَعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].

وكم تكشفت الحقائق عن خطأ استنتاجهم وأوهامهم، ولربما أدّى ظهور هذا الخطأ إلى وقوع ريب في نفوس بعض ضعاف الإيمان، فيتشككون في صدق حديث رسول الله ﷺ، وهذا كله من نتاج التكلف والإيغال فيما لم يأمر الشارع به، والله المستعان.

**هذه الوصايا عشرة كاملة** أسأل الله جَلَّ وَعلا أن ينفعني وكلّ السامعين بها، كما أسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يُلهمنا رشدنا وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يجيرنا من مضلات الفتن، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه، إنّ ربي لسميع الدعاء.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.